الفصل الرابع
وظائف معاجم المصطلحيات فى العربية

يعرف هارتمان[1] وظيفة المعجم بما يجعلها مرادفة للغرض الذى يسعى صانعه إلى تحقيقه وتقديمه لنوع مستعمليه.

ويقرر أن الوظيفة (function) حاكمة فى تصميم المعجم وبنائه، ويقرر فى معرض تعريفه لهذا المصطلح- بما ضربه مثلًا لتوضيح مفهومه- أن المعجم المختص يصمم لعلة أساسية، هى: شرح مصطلحية المجال الذى اختاره فى المقام الأول.

ثم يعود فيقسم وظائف المعجم قسمين، هما:

1- الوظيفة الكبرى (الأم) (Macro-function).

2- الوظيفة الصغرى (Micro- function).

وفحص مادة معاجم المصطلحيات العربية من الخوارزمى إلى التهانوى يقودنا إلى الإقرار بأن الوظيفة الأم (macro function) التى توخت هذه المعجمات الوفاء بها هى: بيان المفاهيم المعرفية المنضوية تحت مصطلحات العلوم التى عرفتها الثقافة العربية الإسلامية فى محاورها الثلاثة المستقرة، وهى فرع العلوم الشرعية وفرع العلوم العربية وفرع العلوم الحكمية أو اليونانية، أو التجريبية؛ أى أن معاجم المصطلحيات تسعى إلى النهوض بما يسميه الدكتور/ محمد رشاد الحمزاوى (بالوظيفة الاصطلاحية)، وهى بيان ما يتعلق "بالمظهر الاصطلاحى"[2].

وقد ظهرت هذه الوظيفة فى شكلين، سبقت الإشارة إليهما فى الحديث عن دور المقدمات، وفى الحديث عن مدى العناية بمعلومات مستوى الاستعمال، التى توافرت فى هذه المعجمات مشغلة الدراسة.

وقد ظهر من نص أصحاب معاجم المصطلحيات العربية وعيهم بطبيعة الغرض الذى صنعوها من أجله، بحيث يمكننا أن نقرر- ومن دون أى غموض- أن الوظيفة الكبرى أو الغرض الرئيسى فى هذه المعجمات متمثل فى (الوظيفة المعرفية) أو الوظيفة العلمية، التى نقصد بها إرادة بيان المفاهيم والمعلومات المتعلقة بالعلوم التى عرفتها الثقافة العربية الإسلامية، من خلال تعريف مصطلحاتها.

---

(1) انظر: Dictionary of Lexicography , p 60 , مدخل (function)

(2) المعجمية: مقدمة نظرية ومطبقة/ مصطلحاتها ومفاهيمها، ص352.

وهو ما تجلى فى مقدمات هذه المعاجم جميعًا، وفى عنواناتها؛ باعتبارها دالة على المحتوى، فتحليل العنوانات التالية دال على الوظيفة المعلنة لها:

أ- مفاتيح العلوم/ مقاليد العلوم (= دستور العلماء).

ب- الحدود الطبية وغيرها/ التعريفات/ التعريفات والاصطلاحات/ التوقيف على مهمات التعاريف.

ففى هذين الفرعين توجه أصحاب هذه المعجمات إلى الإعلان عن وظيفتها من خلال الإعلان عن انتماءاتها المعرفية؛ فهى فى تصور المجموعة (أ) مفاتيح أو مقاليد أو جامع للمبادئ العامة للعلوم، وهى فى تصور المجموعة (ب) مدونات للحدود، التى هى التعريفات أو التعاريف، أو الأوصاف المحيطة بالمعنى[1].

وهذا الذى ظهر لنا استنباطًا من قراءة عنوانات هذه المعاجم، تجلى واضحًا صريحًا فى مقدماتها، على تفاوت فى الإطناب والإيجاز.

وقد سبق منا بيان ذلك تفصيلًا فى الفصل الأول من هذا الباب، مما يعفينا من إعادة نقله هنا، كما تأكدت لنا هذه الوظيفة المعرفية/ العلمية فى مدخل حديثنا عن طرق شرح المعنى فى هذه المعجمات، فى سياق التدليل على عنايتها ببيان مستوى الاستعمال.

على أن الإقرار بأن معاجم المصطلحيات فى العربية خلصت لرعاية الوظيفة المعرفية أو الاصطلاحية المتمثلة فى توضيح المفاهيم المعرفية المختلفة لمصطلحات علوم الثقافة العربية الإسلامية– لا يمنع من وفائها بوظائف أخرى مهمة جدًّا، وإن لم تكن العناية بها على مستوى الوفاء بالوظيفة الأم.

وقد ظهر فيما سبق من فصول عناية معاجم المصطلحيات بالوظائف الصغرى التالية:

1- بيان المعنى اللغوى؛ لإدراك العلاقة الحاكمة بينه وبين المعنى الاصطلاحى.

2- بيان عدد من المعلومات النطقية والهجائية، التى تعين على إفادة المستعمل عددًا من مهارات الكتابة تبعًا.

3- بيان عدد من المعلومات الصرفية، التى من شأنها دعم إدراك التصور المعرفى/ أو المفهومى للمصطلحات.

4- بيان عدد من المعلومات النحوية؛ للأمر نفسه.

(1) على حد تعبير الكفوى فى الكليات (الحد)/ 391.

كما ظهرت العناية بوظيفتين تندرجان تحت قسم الوظيفة الصغرى، لم يرد لهما تفصيل سابق فى هذه الدراسة، وهما:

أ- الوظيفة التاريخية، ونقصد بها ظهور العناية فى أحيان قليلة ببيان بعض المعلومات المتعلقة بتاريخ ظهور بعض المصطلحات أو المفاهيم، أو تاريخ تطورها، بالإضافة إلى بعض المعلومات المتعلقة بجغرافيا بعض المصطلحات، عن طريق بيان بعض خصوصيات عدد من المفاهيم المرتبطة ببعض البيئات؛ مما يشير إلى جذور قديمة- وإن تكن قليلة- يمكن استثمارها فى خدمة المعجم التاريخى.

ب- الوظيفة الموسوعية، ونقصد بها هنا ظهور العناية ببيان بعض المعلومات المتعلقة بعدد من الأعلام (إنسانية/ وغير إنسانية) والموازين والمكاييل والمعادن والمصنفات؛ مما يسهم فى إضاءة كثير من المفاهيم المعرفية والعلمية المتعلقة بكثير من مصطلحات العلوم المختلفة.

وفيما يلى زيادة بيان بهاتين الوظيفتين، اللتين تندرجان تحت ما سميناه- تبعًا لهارتمان- بالوظيفة الصغرى:

(2/4- أ)

وتتشابك بعض المعلومات التى يعدها المعجم التاريخى من صميم أهدافه[1] بما سبق أن سميناه بمعلومات مستوى الاستعمال، من مثل ما يقوله الخوارزمى فى التعليق على مصطلح (الاستصلاح، ص9) عن ارتباطه بالإمام مالك وحده بعبارة: "أما الاستصلاح فهو ما تفرد به مالك بن أنس وأصحابه". ومع فائدة هذه المعلومة فى تعيين مجال الاستعمال، وقصره على الفقه المالكى- فإن ثمة فائدة أخرى للمعجم التاريخى، متمثلة فى تاريخ بداية ظهور الاصطلاح مع نصف القرن الثانى الهجرى، فى بيئة معينة، هى بيئة المدينة المنورة فى توقيت معين.

وفى هذا السياق يمكن اعتبار كل المصطلحات الدالة على الفرق والملل والمذاهب من قبيل المعلومات التى تعين على المعجم التاريخى؛ لارتباطها فى الظهور بتاريخ معلوم، فضلًا عما يتعلق بها من شق موسوعى.

ومن أمثلة المعلومات ذات الوظيفة التاريخية ما أورده الجرجانى تحت مصطلح (الصفى ص875/175): "الصفى: هو شىء نفيس كان يصطفيه النبى- صلى الله عليه وسلم- لنفسه؛

(1) انظر: المعجم التاريخى للغة العربية (وثائق ونماذج)، ص48.

كسيف أو فرس". ففى هذا التعليق ما يشير إلى تاريخ ظهور هذا المعنى وارتباطه بتشريع الغنائم، بعد تشريع الحرب فى الفترة المدنية من عمر البعثة المشرفة.

وقد ترد الإشارة التاريخية صريحة، فى مثل تعليق الكفوى على مصطلح (الجبرية، ص353): "والجبرية: خلاف القدرية، والتحريك للازدواج، وهو اصطلاح المتقدمين". ففى هذه الجملة الأخيرة (وهو اصطلاح) فائدة للمعجم التاريخى.

وفى مثل تعليق المناوى على مدخل (الحتف/ 267): "يقال إنها لم تسمع فى الجاهلية بل فى الإسلام".

فكثير من هذه الإشارات مفيد جدًّا فى بناء المعجم التاريخى، مما يلزم معه أن تعين هذه المعجمات فى القوائم التى تقترح لجمع المادة اللازمة لعمله، وهو ما يعكس وجهًا آخر من وجوه الاستثمار المعاصر الممكنة من هذه المعجمات.

(2/4- ب)

وكذلك اعتنت معاجم المصطلحيات فى العربية- فى ضوء عنايتها بالوظيفة الأم- بإيراد عدد من المداخل الموسوعية التى تتعلق بتكميل مفاهيم مصطلحات العلوم المختلفة، وقد تنوعت هذه المداخل الموسوعية تنوعًا ظاهرًا، توزع على الأعلام، سواء أكانت إنسانية للعلماء، أو غير إنسانية للأماكن أو الفرق والمذاهب، وعلى المؤلفات والمصنفات وأسماء المكاييل والموازين والمعادن، وغير ذلك، ولكنها جمعها جميعًا خيط مشترك، تمثل فى أن العناية بها كانت لازمة من وجهة نظر صانعى هذه المعجمات؛ تتميمًا لبيان المفاهيم المعرفية/ أو العلمية الخاصة بالعلوم المختلفة.

وقد كانت العناية بالوظيفة الموسوعية قديمة جدًّا، ظهرت مع بدايات التأليف فى معاجم المصطلحيات بصورة واضحة تمامًا، وإن كان ظهورها فى المعاجم المتأخرة قريبًا من العصر الحديث أعلى بكثير جدًّا [1].

(1) انظر مثلًا فى باب الأول فقط من جامع العلوم للأحمد نكرى المداخل الموسوعية التالية: 16 (ابن الحاجب< نحوى/ مصنفاته)، و (ابن جنى< نحوى)، و (أبو الفضل بديع الزمان< مصنفاته)، و17 (أبو المنصور الماتريدى مصنفاته)، و19 (أبو حامد الغزالى< مصنفاته)، و20 (أبو حنيفة< منزلته الفقهية)، و36 (الأحمد< النبى صلى الله عليه وسلم)، إلى غير ذلك.

وانظر الأمثلة التالية الدالة على عناية معاجم المصطلحيات بالمداخل الموسوعية، التوقيف على مهمات التعاريف، ص384 (الزبور< الكتاب المنزل على داود عليه السلام)، و395 (السبت< اليوم المعلوم)، و431 (شعبان< علم للشهر)، و467 (الصيف< مقابل الشتاء)، و657 (المشعر الحرام< جبل قزح)، وغير ذلك. =

ومن أمثلة المداخل الموسوعية عند الخوارزمى قوله (202): "كتاب الأسطقسات، هو: كتاب إقليدس فى أصول هذه الصناعة، (يقصد الهندسة)، وإقليدس: اسم الرجل الذى صنف هذا الكتاب وجمع أصول الهندسة".

فهذا المدخل لا يتضمن مفهومًا معرفيًّا بالمعنى الشائع الذى تتضمنه المصطلحات الفاشية فى العلوم المختلفة، وإنما هو عنوان لواحد من المصادر الأمهات فى علم الهندسة، لكن إيراده هنا مهم فى بناء التصور المفهومى لمجموعة كبيرة من مصطلحات هذا العلم.

وهكذا يصح النظر إلى المداخل الموسوعية التى أوردها أصحاب هذه المعاجم؛ باعتبارها فرعًا من الوظائف الصغرى (Micro-function)، التى تعين على الوصول بالوظيفة الكبرى (أو الأم) إلى درجة عالية من الجودة وحسن الأداء.

(2/4-ج)

وفى الإمكان النظر إلى عدد آخر من الوظائف الصغرى، يمكن استنباطها من تأمل هذه المعجمات، نخص بالذكر منها ما يمكن أن نسميه الوظيفة الحضارية، ونقصد بها فحص ما قدمه العلم فى المحيط العربى الإسلامى من منجزات، من خلال فحص مدونات المصطلحات الواردة فى معاجم المصطلحيات العربية، وفحص ما نقله العلم فى المحيط نفسه من الأمم الأخرى، من خلال فحص المصطلحات المعربة، فضلًا عن جزئيات أخرى كثيرة، من مثل ما تم تطويره أو تعديله، أو إضافته من مفاهيم.

هذا بالإضافة إلى وظائف أخرى تربوية، يمكن تأملها من لغة التخطئة أو الزيادة فى هذه المعاجم.

وفى خاتمة هذا الفصل يتضح لنا أن الوظيفة الكبرى– وهو المتوقع والمنطقى– كانت هى العناية ببيان المفاهيم ومعانى المداخل، عن طريق العناية- فى المقام الأعلى- بتعريف المصطلحات.

= وفى الكليات للكفوى، ص253 (بكة< مكان البيت الشريف بمكة)، و157 (سليمان< هو ابن داود نبى وملك عليهما السلام).

وفى كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 78/1 (آب < علم على شهر أغسطس)، و510/1 (تموز< علم على شهر يوليه)، و540/1 (الثامية< فرقة من المعتزلة)،545/1 (الجاحظية< فرقة من المعتزلة)، و608/1 (الحابطية< فرقة من المعتزلة)، وكلها منسوبة إلى منشئيها، و800/1 (الدهرية< فرقة كافرة)، و900/1 (الريحان< نبات)، و1677/2 (الميمونية< فرقة من الخوارج، نسبة إلى ميمون بن عمران)، و1817 (اليونسية< فرقة من غلاة الشيعة نسبة إلى يونس ابن عبد الرحمن)، وغير ذلك.

ومع هذه العناية التى احتلت المكان الأول؛ للوفاء ببيان التصورات والمعارف والمفاهيم- لم تخل هذه المعجمات من رعاية عدد من الوظائف الأخرى، وإن جاءت تابعة فى غالب الأحيان للوظيفة الأم، ويمكن إجمال وظائف معاجم المصطلحيات فى المشجر التالى:

وظائف معاجم المصطلحيات العربية

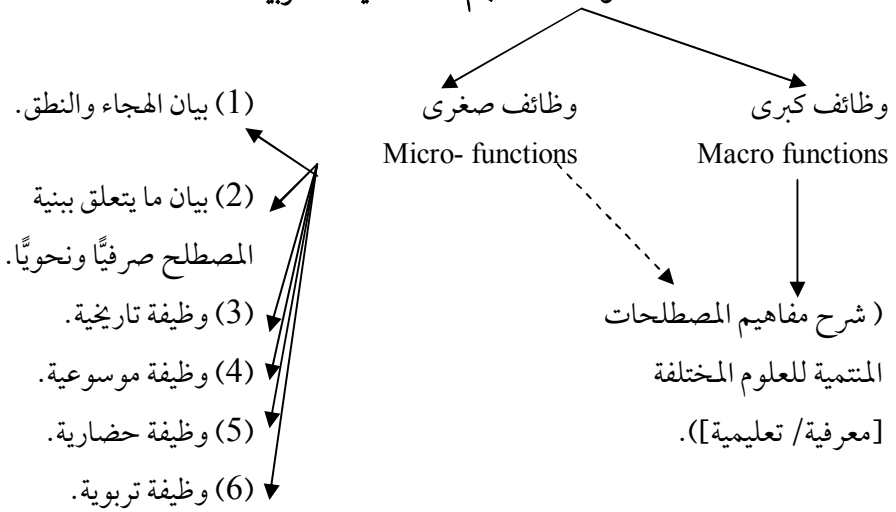

***

* الخط المتقطع يفيد أنها تابعة للوظيفة الأم.